

المشاعل التي أشعت نورا وعلماً وفعلاً لا يمكن لجدوتها أن تنطفئ



...وخلال اختتام أحد المخيمات



العميد الراحل خلال افتتاح مهرجان «ربيعنا بحدو أحلى» في شارع المقدسي - بيروت

قبل أسبوعين ونيف، شهد شارع المقدسي في منطقة الحمراء في العاصمة بيروت، مهرجاناً تجارياً فنياً ثقافياً حاشداً، حمل عنوان «ربيعنا بحدو أحلى»، وقد كان العميد الراحل صبحي ياغي في مقدم الحضور مشاركاً وراعياً، فقص شريط الافتتاح ومعه مسؤولون حزبيون، ورئيس لجنة تجار المقدسي معتمض رحال وأعضاء اللجنة، رئيس لجنة المهرجانات السياحية في وزارة السياحة ربيع شداد، وفاطيات.

ولأن قيم العطاء وإرادة الحياة تسكنه، سجّل العميد الراحل صبحي ياغي الكلمات التالية: «هذا المهرجان يدل على إرادة الحياة في مواجهة مؤامرات التبتيس التي تتعمد قتل الفرخ في شعبنا، ونحن من خلال هذا المهرجان نؤكد أنّ قلب بيروت، هو قلب نابض بالحياة، وأن قلب بيروت ينعم بالأمن والاستقرار، وموئل للفرح والثقافة والوطنية والعطاء».

وفي ما يلي بعض من محطات كان للأمين الراحل الدور البارز فيها، وأيضاً مقالات رثائية.

افتتاحية عدد «البناء» الخاص بمخيمات الأشبال والطلبة 2007 بقلم العميد الراحل صبحي ياغي... بكم تنتصر الأمة

كان العميد الراحل صبحي ياغي خلال فترة توليه مسؤولية عميد التربية والشباب، يحرص دائماً على تقديم جردة حساب السنة في عدد خاص من «البناء»، عن عشرات مخيمات الأشبال والطلبة في لبنان والشام والمغربيات. وكان يستهل العدد بافتتاحية تحمل في طياتها إرادة الفرخ والعزم والعطاء والتحفيز. وقد اخترنا نشر افتتاحية عدد العام 2007 بعنوان «بكم تنتصر الأمة»، وجاء فيها:

بداية، يستحق الشباب والطلبة والزّهرات والأشبال الذين شاركوا في الدورات التربوية التأهيلية والتثقيفية التي نظّمها الحزب السوري القومي الإجتماعي في مختلف مناطق لبنان والشام، التنويه بمشاركتهم. ويستحق أهالي المشاركين، رفقاء ومواطنين وأصدقاء الشكر الجزيل لثقتهم الكبيرة، وحث أبنائهم على المشاركة، وليس يوسعنا إلا بقدر الجهد الكبير التي بذلته الهيئات المشرفة على هذه المخيمات بوصفها عملاً تربوياً-تثقيفياً، يساهم في صقل الأجيال الجديدة بالوعي والمعرفة.

من المسلم به، أن أي عمل ناجح، هو ثمرة جهود كبيرة... وليس خافياً أن جهودنا تركزت على أهمية نجاح هذا العمل بوصفه ترجمة لقرار اتخذناه بإقامة سلسلة من المخيمات والدورات. وهو قرار اتخذنا بامتياز، في مواجهة الضغوط التي تعرّض لها حزبنا وفي مواجهة كل الحملات الإعلامية المشبوهة والمناخات الطائفية والمذهبية المتشحونة. وعلى رغم كل موجات التشكيك والبأساء والبياسة، القريبة منها والبعيدة.

الإرهابيون... مغول العصر والتار الجدد

في آذار 2015، شارك العميد الراحل صبحي ياغي في عدد من احتفالات ذكرى مولد باعث النهضة أنطون سعاده، خطيباً وممثلاً مركز الحزب، وكانت له كلمات في المناسبة. ففي حفل الاستقبال الذي نظّمته مديرية رأس بعلبك التابعة لمنطقة البقاع الشمالي في الحزب الواحد، القومي الإجتماعي في رأس بعلبك، أكد العميد الراحل أن أنطون سعاده مشروع حياة الأمة واستقلالها وسيادتها، مشروع مقاومة للاحتلال وللإرادات الغربية التي تؤرّد مشاريع التفتت والتخريب، وهو أطلق حركة وعي استطاعت أن تنتج في أصعب امتحان هو القضاء على الطائفية والمذهبية في صفوف أبنائنا. بل كانت حرباً على هذه العصبية وقدمت الشهداء والجرحى، كما كانت رأس حربته المقاومة ضدّ الاحتلال اليهودي منذ عام 1936 وحتى يومنا هذا، واليوم نخوض مواجهات ضدّ العصابات الإرهابية في سورية دفاعاً عن أهلكنا، والحق أقول إنّ السوريين القوميين الأمتينيين قد يتأخروا يوماً في الدفاع عن شعبنا وأرضنا ولن يتأخروا حاضراً ولا مستقبلاً، فهم على جهوزية دائمة للمواجهة ولتقديم التضحيات والانتصار.

وقال: إنّ لاحتفال اليوم ميزة خاصة، لأننا نقيم في البقاع الشمالي، وتحتدي في بلدة رأس بعلبك العزيزة، هذه البلدة التي قدمت الشهداء من أجل وحدة لبنان، البلدة الوطنية بموافقها وجرالها... لها منا كما للبقاع الشمالي

كل الحب والتقدير، ولهذه البلدة كما جيرانها مساحة كبيرة في ذاكرة حزبنا وتاريخنا... إنّ هذه المنطقة شكلت نموذجا لوحدة الحياة الاجتماعية فأهلها بنوا وأسسوا مع محيطهم حياتهم الواحدة وهم متجزون وثابتون في أرضهم ومصيرهم واحد.

إنّ أمتنا تواجه عدواً إرهابياً على كل مساحة الوطن، ففي فلسطين إرهاب منظم يتعمّل بالمجازر وعمليات الإغتال والتفجير وبناء المستعمرات إنه إرهاب «الدولة» المنظم الذي يمارسه عدو مدعوم دولياً ومتحالف مع العصابات الإرهابية. وفي العراق إرهاب يقتل وينذح ويهجر ولا يميز بين الحجر والبشر. أما في سورية فلم يتركوا مكاناً إلا عاثوا فيه خراباً ودماراً من أجل إضعاف سورية حاضنة المقاومة في كل الأمة، وإسقاط الدولة في سورية لمصلحة العدو اليهودي. وفي لبنان تحاول هذه العصابات المنتشرة في هذه الجبال أن تزرع الخوف والرعب في نفوس المواطنين الأمتينيين فتكسّف بعض القرى وتخطف جنوداً وتطلق التهديدات. إنه مشروع واحد يستهدفنا في فلسطين والعراق وسورية ولبنان، وهو نتاج حلف بين يهود الداخل ويهود الخارج، وإنّ أختلفت التسميات والأساليب، والإرهابيون هم مغول العصر والتار الجدد.

أمام هذا المشهد الهمني المتوحش، نرى في المقابل إنجازات لشعبنا على امتداد ساحات الأمة، وما هو الجيش



في العراق يتقدّم لإحلاق الهزيمة بالإرهاب رغم كل هذا التفاق الدولي المتنامي.

أما سورية فاستطاعت أن تصمد وتزهّم في أكثر من موقعة، وكان بفضل بطولات القوات المسلحة السورية وقوى المقاومة وصمود شعبنا والتفاهة حول قيادة الرئيس د. بشار الأسد الذي يشكل صمام أمان لوحدة سورية في مواجهة التقسيم. وفي لبنان، ما زال أمامنا الكثير ممّا يجب القيام به، فعلى رغم الموقف السياسي الرسمي المعلن في مواجهة الإرهاب، فإنّ التهديد ما زال قائماً والواجب يفرض اتخاذ خطوات عدة:

أولاً: تسليح الجيش اللبناني البطل وزيادة عديده وقفّ الأسر عن عملية التسليح.

ثانياً: ضرورة التنسيق بين الحكومتين السورية واللبنانية وبالتالي بين الجيش اللبناني والسوري لمواجهة الإرهاب، خصوصاً في هذه المنطقة وتحرير الجنود المختطفين.

ثالثاً: مطالبة الدول الإقليمية بوقف كل أشكال الدعم لهذه العصابات الإرهابية.

إنّ العالم كله سيسطر إلى أن يتخذ موقفاً لمواجهة الإرهاب لأنّ الحريق سيمتد إذا لم يتمّ تطويقه، وقدرنا في هذه البلاد أن نواجه لأننا أمتاً أنّ الحياة كلها وقفة عن قفط. وإننا نجدد الدعوة التي أطلقها رئيس الحزب السوري القومي الاجتماعي النائب أسعد حردان، بضروبة تشكيك

إلى حضرة العميد الذي عاش النهضة من ألفه إلى يائه ومن ألفها إلى يائها

زهرة حمود*

غادرك الطفل غاضباً، وتركك وحيداً، وإنّ أطل من وقت إلى آخر من ابتسامة عينيك، لم تتفدّه، وضمت تعبر المسؤوليات والمواقف، تمارس التثقيف، الإشراف، الصراع، الحياة، نسبك ونسيته، وكان كلما أسسست بالوحدة يزورك في الحلم، ويمسح جبينك حبا وحناناً.

لكنه في الأسبوع الأخير من الرحلة حاول أن يحملك، زارك يدغدغ وجعل، يحاول التخفيف من الألم، يرجوك أن تحفظه، لكن أنت، أنت الصلب، رويت له كم مرة هزّت من الموت، وكم تحديته فكنت كما قال المتنبي:

تَمَرَسْتُ بِالْأَفَاتِ حَتَّى تَرَكْتُهَا
تَقُولُ أَمَا تَمُوتُ أَمْ دَعِرَ الدَّعْرُ
فَقَتَى لَا يَضُمُّ الْقَلْبُ هِمَاتٍ قَلْبِهِ
وَلَوْ ضَمَّهَا قَلْبٌ لَمَّا ضَمَّ صَدْرُ

لكن همّة قلبك خائنتك هذه المرة، جنّا الطفل قبيلتك يستعرض معك المواقف الصعبة والمخاطر الجمة التي واجهتك، فكتت سيد اللظات، شجعك أخذ بيدك، ارتديت ثيابك وأصطحبتك إلى المكتب، وقعتت بريدك، أنهيت ما كان عالقاً من أعمالك للمرة الأخيرة، شعرتت بالتعب، وشئتت ببيدك، بعد إصرار المحبين، لكن وكما في كل مرة، لم تهب الموت، ولا التحذيرات بوجود دخول المستشفى، وأجّلت الموعد إلى غد!

انتظروك في غد نكبة حوّلتها عدنا إلى

فاجعة هذا العام، لم تحضر، لم تتصل، لم تجب، احتضنت صبحي الطفل واحتضنتك، وأغادرتما.

أنت لم تستسلم، امكّك الأفات التي واجهتها وتحديتها، كنت الطالب النجيب في مدرسة سعاده، اجترت المواقف فوق مجيها، لكن ما تراكم عندك في المواقف أثقل كامل نفسك العظيمة، فأخذك موت طالما تحديت زيارته في مواقع العز.

من كان مثلك سورياً قومياً اجتماعياً عاش النهضة من ألفه إلى يائه، ومن ألفها إلى يائها، واقتدى بمعلمه بالحياة، وكذلك في الرجيل، لا بد أن يكون شهيداً.

عذراً من الطفل الذي أعتبته، وعذراً من الأهل الذين أحننتمهم، عذراً من أمّ فجعت بكرها، وأهمس لها مع اعتدائي، لن يهرم صبحي وسيمضي الشاب البهيمى الطلعة.

ومن الحزب الذي افتقدك، ومكك لأنك لم تكن بيننا لتسمع ما قيل فيك من القاب تليق بحضورك، منذ نعومة أظفارك، ولحظة رفعتت يمينك تقسم بحقيقتك وشرفك، ومعتمدك كنت مشروع شهيد، وفي غيابك الموجع أرفع يميني بالتحية لجلالة شهادتك، يا حضرة العميد الجزيل الاحترام.

* ناموس الدائرة الإعلامية في الحزب السوري القومي الاجتماعي

لييب ناصيف

كنت مع رفقاء في زيارة إلى قلعة بعلبك، عندما تقدّم مني شاب وسيم، بهيئ الطلعة، يلقي عليّ التحية معزّفاً: الرفيق صبحي ياغي، ناظر إذاعة منقذية بعلبك.

والتيقبة كثيراً ناظراً للإذاعة، ثم أكرم منقذاً عاماً لبعلبك، فآفكر أيضاً عميداً للتربية والشباب.

حزبنا من كان مثلاً للأمين صبحي ياغي، كفاءة إدارية، إذاعية، سياسية. اختلفت معه عديرون في عمل الأشبال تخصيصاً بعد العام 1970 عندما تميّز رفقاء عديرون في عمل الأشبال تخصيصاً بعد العام 1970 عندما أعاد الحزب اهتمامه بهذا القطاع الهام، بعد خروج العديد من قيادتي الحزب وأعضائه الذين شاركوا في الثورة الانتقالية، من الأسر في شباط 1969. أمل أن أتمكن، مع رفقاء آخرين، من تاريخ تلك المرحلة، منذ أن أنشئت شعبة للأشبال، تابعة في البدء لعمدة الداخلية، فللمكتب الشؤون الطلابية قبل أن ينشأ مكتب مركزي للطلبة والشباب ويتولاه الفريق (الأمين لاحقاً) عبد الله حيدر برتينة عميد بدون مصلحة، إلى أن تمّ إنشاء عمدة للتربية والشباب.

في بداية السبعينات نشطت الرفيقة ناصيف⁽¹⁾ في مجال الأشبال، وكانت معها مجموعة من الرفقاء والرفقيات أذكر منهم: الأمين نبيل كيرون، جوزف مشهور، شارل عيسى، وسعاد حجاز.

في عام 1972 صدر أول (وأخر) كتاب للأشبال بعنوان «أنا عائد»⁽²⁾، بعدها نشط الرفيق سمير أبو ناصيف⁽³⁾ ومن أعماله أنه كان يشرف على ملحق خاص بالأشبال ضمن مجلة «صباح الخير».

بعد ذلك صدرت مجلة متخصصة للأشبال، اتخذت تسمية «ربيع» كانت تتابع في الأسواق، ولأقت رواجاً جيداً إلى أن توقفت مع حرب العام 1982. في تلك السنوات انصرف للعمل في حقل الأشبال، عدد جيد من الرفقاء والرفقيات. إذ نورد أسماء البارزين منهم، وفاء للنشاط المميّز الذي قاموا به لسنوات تسجل تقديراتنا للكثيرين غيرهم الذين سهروا في مخيمات الأشبال واهتموا بتخريج العديد من الدورات، وكانت لهم بصمات جيدة في تاريخ العمل الحزبي في حقل الأشبال والزّهرات:

الأمين الراحل محمد صادق خير الدين الذي تولى لاحقاً مسؤولية وكيل عميد التربية.

الأمينة اليسار زين
الرفيق الشهيد عباس امهز⁽⁴⁾
الرفيق مفيد عبد الخالق⁽⁵⁾
عميدة البيئية حاليبة الرفيقة ميسون قربان، وشقيقتها الرفيقة بيسان. وتعزّرت عن إيراد أسماء العشرات غيرهم وغيرهن من رفقاء ورفقيات.

كان الأمين صبحي كتلة من نشاط لا يعرف السكينة، دائم الحركة، يتفقد الفروع في لبنان والشام، يقيم مع الأشبال في مخيماتها، يقاسمهم الطعام والنوم والسهرات، ينشد ويغني معهم، ويرافقهم بالرقص وحياة المخيم.

لقد بات اسم الأمين صبحي مرادفاً لعمل الطلبة والأشبال، بإشرافه وتوجيهه جعلت حضوره طابعاً في كل مسؤوليّة تولّاها.

مميزاً، جعلت حضوره طابعاً في كل مسؤوليّة تولّاها.

لقد عرفنا الأمين صبحي منذ سنوات انتمائه الأولى إلى الحزب، وكنا معاً في مجلس العمدة لسنوات طويلة. كم أننا حزين اليوم، لأننا لم نلق أكثر ولم نستمتع معاً أكثر.

نسجل للتاريخ أن عمدة التربية والشباب شهدت طفلة تولى الرفيق، والأمين لاحقاً، صبحي ياغي لمسؤوليتها، نشاطاً مميّزاً تجسّد في مئات من الدورات التي أقيمت للمفوضين وللأشبال، بحيث يجدر أن تؤرّخ تلك المرحلة فبفتى للأجيال المتعاقبة، تاريخاً غنياً مشغلاً لا يجوز أن يضع.

لم يكن عمل الأمين صبحي ياغي يقتصر على عمده، فهو كان حاضراً في كل شأن حزبي، مليئاً ومندفعاً، ما من مرة عرض حضرة الرئيس لأي مطلب زيارة ميدانية لمعالجة مشكلة معينة، حتى في الظروف الأمنية الحرجة، إلا كان الأمين صبحي أول المستعدين لها.

في حرب تموز عندما كانت طائرات العدو «الإسرائيلي» تغير على كل موقع وتقفص في كل مكان، وقد بات الوصول إلى البقاع، أو إلى أي مكان، محفوفاً بالخطر، لم يتردّد الأمين صبحي يوماً عن التوجه إلى أي مكان لإيصال ذخيرة أو مواد غذائية.

لم يكن يهاب شيئاً أو يتردّد أمام أي خطر، او يحسب لحياته حساباً. كان منصرفاً بكامل عيه وإرادته وعقله وقلبه إلى الحزب، لقد رهن له، بالفعل والتطبيق، كل وجوده. كان مشروع شهيد في كل لحظة.

والتيقبة، كل وجوده، كان عمله الحزبي كان، بمغفمه، ميدانياً. لذا عرفته فروع الحزب في الوطن في زيارات متكررة، وتعرّف شخصياً على معظم الفروع العاملين، وعالج المشاكل الإدارية في الفروع، بعد درس وإطلاع ميدانيين.

ولم يكن الأمين صبحي ياغي عميداً عادياً. لذا كان الحزن على رحيله غير عادي. بكاه من أحبه، وبكاه من اختلف معه دون عداء.

رأى الحزب في رحيله خساراً موجهة لا تعوّض بسرعة، إذ ليس أمراً سهلاً أن يبيد الكادر في الحزب، من أمثال الأمين صبحي ياغي، ثقافة عقائدية، التزاماً نضالياً، كفاءة متنوّعة، إدارة وإذاعة وسياسة، وان يمتلك حيوية مميّزة، جعلت حضوره طابعاً في كل مسؤوليّة تولّاها.

لقد عرفنا الأمين صبحي منذ سنوات انتمائه الأولى إلى الحزب، وكنا معاً في مجلس العمدة لسنوات طويلة. كم أننا حزين اليوم، لأننا لم نلق أكثر ولم نستمتع معاً أكثر.

لقد رحلت باكراً جداً يا أمين صبحي، عائلتك في حاجة اليك، حزبك في حاجة اليك، أمك في حاجة إلى أمالك.

بيكتك عندما وصلني خبر رحيلك، سابكيك، كما الألاف من رفاقك، كثيراً، وستذكرك كلما هممتنا لسورية، وكلما أنشيدنا للحياة.

ستبقى يا أمين صبحي كبيراً وخالداً، وواحداً من بين الذين رهنا كل وجودهم لحزبهم، وكانوا له أوفياء جداً.

هوامش:

1. مُنحت لاحقاً رتبة الأمانة. اقتربت من الأمين ناظم ابوب. ابنة الأمين شفيق ناصيف الذي تميّز رئيساً لبلدية مشغرة، شفيق الموسيقار الرفيق زكي ناصيف.
2. مراجعة النبذة المعمّمة عنه في أرشيف تاريخ الحزب على الموقع التالي: www.snp.info
3. من بلدة قبّ الباس، تولى في الحزب مسؤوليات عديدة ونشط في أكثر من مجال، واقترب من الأمانة اليسار سعاده.
4. رافقته كثيراً وكان ناموساً لشعبة الأشبال التي ترأسها الأمانة اليسار زين، سقط شهيداً في شهر الشوير.
5. من بلدة جديبنا، كان مديراً لدائرة الأشبال في عمدة التربية، أشرف على العديد من دورات تخريج الأشبال، غادر إلى أستراليا.